

المدينة العربية وإشكالية الهوية
بين العولمة والإقليمية

د/ بلقاسم الديب
جامعة الحاج لخضر-باتنة.
و
محمد العيد شوية
جامعة محمد خيضر-بسكرة

ملخص

تحفل المدن العربية في المرحلة المعاصرة بمزيج من الأنماط المعمارية والعمرانية البعيدة عن بيئتنا واحتياجاتنا المجتمعية والإنسانية، حيث شاع خلال هذه الفترة عدة محاولات لخلق طابع معماري يناسب العصر. تتوخى هذه المقالة الوصول لبيئة معمارية عمرانية تتجاوب مع النواحي المختلفة والمتنوعة بتنوع الثقافات والبيئات المحلية للمجتمع العربي الكبير (الثقافية والاجتماعية والمناخية) والتأسيس للنظرية المعمارية الشاملة (العربية الإسلامية) والإقليمية وتأسيس استمرارية الموروث الحضاري للمجتمع .

Abstract

Actually, there is in Arabic town such in the current period a lot of concept and urban architectural styles which are as far as own environment and our social human behavior and behavior needs are concerned unfortunately it supposed to be a lot of efforts to produce and creating an urban and architectural style which would be a reflecting one of our time many of these efforts tried to create and enhance the current and modern built environment by introducing of heritage elements belonging to the Arabic architecture beyond of making of meaning however it seems that this big component of efforts to bring up the architectural composition which grew up in lot of Arabic towns with different form and colors is supposed to be divided on two kind of team brains and scales.

مقدمة:

كغيرها من مدن العالم عرفت المدينة العربية تغيرات جذرية تصدرها التوسع الحضري وظاهرة الحضرية التي تفرز باستمرار عصارته الضارة رغم بعض إيجابياتها على مستوى حركية الحياة والتطور في المدينة خصوصا والمجتمع على العموم.
وما زالت المدينة في عالمنا العربي الإسلامي تعاني من تداعيات هذه الظاهرة، حيث نمت عبر مراحلها الأخيرة بوتيرة أقل ما

يقال عنها أنها لم تكن بالقدر المقبول من التنظيم والتخطيط رغم الجهود المبذولة من الساهرين عليها، متجاوزة بذلك حاجات الإنسان العربي الإيكولوجية والاجتماعية والنفسية...

وتحفل المدن العربية المعاصرة بمزيج من الأنماط المعمارية والعمرانية البعيدة عن بيئتنا واحتياجاتنا المجتمعية والإنسانية، حيث شاع خلال فترتها الحديثة (أواخر القرن الفارط) من تاريخها عدة محاولات تهدف للوصول لملمح معماري عمراني تراثي للمادة المنتجة قصد تعبيره عن الأصالة باستخدام بعض العناصر من أبجديات التشكيلات التراثية للمعار العربية دون التدقيق في خصائصها ودلالاتها... فهل أن ذلك يمكن من إلباس المدينة حلة هويتها؟ أم أن هذا التصور لا يعدو مجرد استهلاك للأشكال العمرانية المعمارية بعيدا عن مضمون هوية المدينة؟

لا ندحة في أن: عمارة عربية معاصرة ومميزة لن تأتي بشكل عفوي ولن تأتي بوضع قوس أو قبة في واجهات مبانيها كي تصبح لها هوية خاصة بها، بل تكون لمبانيها تلك الهوية عندما تلبي متطلبات الإنسان العربي واحتياجاته ضمن الظروف الحياتية الجديدة والمعطيات السائدة، فقد ما يكون الفضاء ملائما لحياة الإنسان ونابع من بيئته المعاشة، يكون له هوية مميزة وبالقدر الذي ينتمي فيه إلى حياة العصر الراهنة بقدر ما نقول بأنه يعبر عن عمارة أصيلة متجددة في طننا العربي. نتناول في هذه الورقة بعض العناصر المشكلة للملمح المعماري العمراني في مدينتنا مع تنوع أقاليمها وبيئاتها وبعض الآثار المترتبة عليها جراء العولمة، ثم نحاول أن نرسم آفاقا للتعامل مع هذه الظاهرة مستقبلا باعتبارها وليدة العقل البشري: ملك الجميع.

1- الإطار النظري:

تعرف العولمة بأنها التعامل على نطاق عالمي، لا يحول دونه حاجز أو عائق فهو عالم مفتوح... قوام ثروته الموارد البشرية والخبرات الواسعة المسماة بالمعلومات... وهي أيضا تعبير عن ظاهرة تاريخية موضوعية تمثلت في البداية ثقافة بالمعنى الانتروبولوجي، تخلقت وتشكلت بنمط إنتاجي هو نمط الإنتاج الرأسمالي

الذي أخذ يمتد ويتوسع ويسود حتى أصبح ليس مجرد حضارة غربية كما يقال، بل حضارة عصرنا الراهن وإن اختلف مستوياتها من مجتمع لآخر... ويمكن إيجاز مظاهرها في الثورة المعلوماتية والاقتصادية والتكنولوجية والبيولوجية التي لا تعرف حدودا...¹، وتعني أيضا سقوط الحدود وتلاشي المسافات وتزايد الروابط على كافة الصعد في ظل التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية.²

وهو ما يعني أن هناك نمطا جديدا وعلاقات اجتماعية مادية ونفعية تستبعد كل المفاهيم القومية والعرقية والعائلية والدينية، ومن ثمة يرى بعض الدارسين أن العولمة ترتبط بأربع عمليات أساسية هي: المنافسة بين القوى العظمى والوصول إلى التقنية الجديدة وشيوع عولمة الإنتاج والتبادل والتحديث.³ ونعني بالإقليمية في ورقتنا هذه الملامح والقيم التي على أساسها تشكلت عمارة محلية بمختلف صورها وتتوزع مناطقها الاجتماعية والثقافية والبيئية... فشككت بذلك رصيда معماريا عمرانيا في عالمنا العربي ظل قائما لقرون يحتاج للرعاية والتدقيق.

2- المرجعية الحضارية للمدينة العربية الإسلامية:

لعل التعرّيج على الأسس التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية ومضامين استراتيجيتها المعمارية يمكننا من تشخيص وقياس مدى تراجع القيم الحضارية وعلاقتها بالمنظور الحديث للعقل العربي لهذه المدينة وتكويناتها، ومن ثم قياس مدى تلائم الصورة والمضمون المعماريين العمرانيين للمدينة التي ينتجها العقل المعماري حاليا، وإلى أي مدى تؤثر العولمة في ذلك والبحث في المخارج الممكنة لإعادة تلك القيم في حلتها المتجددة... ونتطرق لذلك كما يلي:

2-1- استراتيجية الفكر العمراني للمدينة :

إن المتتبع لكتابات الجغرافيين المسلمين يلحظ تلك التصنيفات والمعايير التي كانت تميز المدينة عن غيرها من المراكز الاستيطانية الأخرى كالبلاد والقرى، فقد استخدموا مصطلح المدينة والمدينة الوسط والمدينة الصغيرة والقرية والقرية الكبيرة، وما إلى ذلك من تسميات زخرت بها آثار المسلمين، ومن خلال تلك الأوصاف أمكن تحديد معايير متعددة وما يرتبط بها من سلطة تسييرية، ومساحة وكثافة سكانية

ووجود الأسواق والمرافق العامة كالحمامات والمساجد والجامعة وتوفير مياه الشرب وما يرتبط بذلك من عوامل مساعدة على ازدهار حياة المدينة وأمنها.

وتظهر تلك الكتابات نظرة شاملة لرؤية المدينة في إطارها الكلي، الذي تتفرع عنه كل مكونات هذا الجسم المعقد الحاوي لحركة المجتمع في بعده الزمكاني، ويشير الباحثون بأن الفكر الإسلامي العمراني يمتاز بالشمولية في مبادئه العامة والتخصصية في جزئيات التطبيق، ويتجلى ذلك بتدرج البحث في الفكر العمراني الإسلامي تدرجا يبدأ في عرض سياسة العمران للدولة، ثم ينتقل إلى الفكر الموجه لتخطيط المدن و يتدقق إلى أن يصل إلى دراسة دقائق الحرف والصناعات المتصلة بالعمران، وهو كل يعمل في إطار واحد وتؤثر وتتأثر جزئياته بعضها ببعض⁴

2-2- المنطلقات التخطيطية:

2-2-1- الإسلام دين تمدن:

يعتبر الكثير من الباحثين أن الإسلام حضارة مؤسسة للمدن⁵ ويمثل على رأي آخرين ثقافة مدنية لا يمكن إنكارها... إذ أن الإسلام رغم أنه ولد في الصحراء فهو دين تمدن، ويتضح ذلك من خلال جمعه للدين والتجارة باعتبارهما مؤسسان للمجتمع في ذلك الوقت، حيث ينظم الدين ويوجه عمل الفرد والمجتمع وسلوكهما داخل المدينة بكل مؤسساتها وعلى رأسها المؤسسة التجارية التي كانت تقوم في مهدها على الإنتاج الزراعي وبعض النشاطات الحرفية الأخرى⁶. ويعد الإسلام من أكثر الأديان تشجيعا لنمو المدن حتى أن بعض الباحثين يجزمون بأنه قد أسهم في ظهور المدن بدرجة أكبر من المسيحية⁵، فالفكر الإسلامي بهذه الصورة إذن غير بعيد عن مضمون التمدن المعبر عن حاجات الإنسان في زمانه ومكانه، بل أسهم إلى حد كبير في إحداث ثورة عمرانية أساسها القيم الإنسانية والمعطيات البيئية المختلفة... فهل استطاع سد ما عجز عنه سابقوه في الحضارات السالفة...

2-2-2- الحضارة العربية الإسلامية سدت ما عجز عنه الفكر الإنساني في معالجة المدينة:

وقد تميزت الحضارة الإسلامية بأنها وجدت في التشريع الإسلامي المفصل لنواحي الحياة دستورا مهيبا سارت عليه حركة حياة المجتمع، مما ساعد على سرعة ازدهارها بصورة منقطعة النظير، سيما أن تلك التشريعات سدت النقص الذي اعتري الفكر الإنساني في المراحل السابقة، وأعطت قواعد صالحة لكل زمان ومكان، سعى لها فكر الإنسان عبر مراحل تاريخه في رؤيته الفكرية للمدينة الفاضلة وعجز أن يحقق واقعا ملموسا لها بأي صورة من الصور، وفي تناسب أحكام الإسلام مع النظرة الإنسانية التي تكيفت معها في سهولة ويسر وتدرج، وتهذيبه لطبائع النفس البشرية والارتقاء بها وانعكاس ذلك في صفاته التي تمثلها المدينة الإسلامية باعتبار أن المدينة هي الحضارة...⁶.

ولقد كان دور المسلمين في نشر حضارة المدن أمرا ملحوظا، حيث أن الكثير من مراقبي ومؤرخي الإسلام قد تناولوا بالبحث والتعليق، التباين المذهل في السياق الجغرافي والبشري إذ نزلت رسالة الإسلام ووطدت أقدامها في بداية الأمر بين شبه الجزيرة العربية التي كان يقطن فيها في المحل الأول أقوام من البدو والرحل أو شبه المقيمين، ووجه العالم الإسلامي القديم كما قيض له أن يبرز بعد ذلك ببضعة قرون فحسب، شبكة من المدن العظيمة تمتد من الهند إلى الغرب، ويتدفق فيما بينها برا وبحرا مختلف أنواع المنتجات، فضلا عن جميع ألوان المعارف والأفكار والثقافات.

وإنها لحقيقة واقعة أن انتشار الإسلام واكبته تنمية حضرية بلا مثيل وقد حدثت هذه الظاهرة في ثلاث مناطق كبيرة امتد إليها الفتح الإسلامي أول الأمر هي الإمبراطورية الساسانية في بلاد ما بين النهرين وفارس، والإمبراطورية البيزنطية في سورية ومصر، والمغرب في شمال إفريقيا وإسبانيا، وكان تابعا للرومان من قبل⁷.

وعليه فإنه يمكن التقرير أن المدينة الإسلامية-صورة ونظاما وفلسفة- لا تستحق بعد هذه الشهادات ما يزيد في تبرز دورها الفعال في التنمية الحضرية العالمية.

3- تكوينات المدينة العربية الإسلامية:

يشكل المدينة الإسلامية مجموعة مكونات هي:

3-1- فضاء العبادة:

يعتبر منظم العلاقة الاجتماعية بين الإنسان والإنسان والحارس الأمين لتطبيق تعليمات الإسلام على مسرح المدينة، ويتجلى ذلك في الموقع الذي يحتله في قلب المدينة منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وإقامة المجتمع المسلم.

والمسجد من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها إذ يعتبر زيادة على الوظيفة الدينية التعبدية (إقامة الصلاة) مركزا لبحث الشؤون السياسية والتربوية والاجتماعية وملتقى علميا...⁸. وحكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع موضعه في المدينة باعتباره النواة الأساسية في تخطيطها فقد كان أول ما يختط، ومن حوله كانت تخطط خطط (أحياء المدينة بالتعبير الحالي) المدينة وتنتهي إليه شوارعها وسككها وأزقتها، وكانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأول على ذلك.

3-2- فضاء التسيير:

أوجبت الضرورة الوظيفية مجاورة دار الإمارة للمسجد الجامع منذ النشأة الأولى للمدينة وجاء بعد ذلك في المدن الناشئة أيضا والمفتوحة، واستتبع تأمين دار الإمارة عزلتها عن مساكن العامة والأسواق التي جرت العادة على إنشائها قريبا من المسجد، ويعني هذا التركيز على وضع المسجد الجامع و دار الإمارة والدواوين ومركز القضاء في قلب المدينة، باعتبارها تمثل مركز الإدارة في المدينة سواء كانت قائمة بذاتها أو قاعدة إقليم أو عاصمة الدولة.

إن هذا الاتجاه يبرز أهمية المدينة الإدارية من جهة، ويؤكد على أن المدينة الإسلامية كان لها جهازها الإداري الذي يشرف على جميع شؤونها والذي يتمثل في: الوالي والقاضي والمحتسب وصاحب الشرطة... وليس بمعزل عن المسجد الجامع

الذي يمثل الرمز المعنوي للإشراف والمراقبة والتذكير بخصوص تسيير شؤون المدينة والدولة عموماً⁹.

3-3- فضاء التجارة:

لقد كانت الشوارع التجارية والأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة الإسلامية إذ لم يتأثر هذا النوع من النشاط الجماعي كثيراً ببصمات الحكام الشخصية التي تركها الحكام الذين تتابعوا عليها في العصور المختلفة ومن هنا كانت الشوارع التجارية والأسواق من أهم العناصر المكونة للتراث الحضاري للمدينة الإسلامية القديمة لما كان لها من صفة الاستمرار والنمو العضوي¹⁰.

وتلعب هذه الأسواق دوراً كبيراً في شحن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين على مختلف مستوياتهم، وتؤكد الكتابات التاريخية أن الأسواق في المدينة الإسلامية كانت تتميز بالتنظيم المتقن وتصنيف مختلف السلع في أماكن تختص بكل صنف منها، وتزخر العديد من العواصم العربية حتى الوقت الحالي بتلك الأسواق والقيصريات مثل سوق الحميدية بدمشق المجاور للمسجد الأموي وخان الخليلي والصناديق بالقاهرة حول الأزهر الشريف¹¹.

3-4- فضاء الاتصال والحركة:

لقد عرفت شبكة الطرق نمواً مستمراً عبر مراحل نمو المدينة الإسلامية منذ الفترات الأولى لها حيث لعبت أدواراً اجتماعية واقتصادية وثقافية... فضلاً عن مواصفاتها الفيزيائية الدالة على مواقعها في المدينة ووظائفها وأشكالها... حيث اتسمت بالتدرج في المجالات العمرانية من عامها إلى خاصها، وصولاً إلى المجال السكني وفي ذلك حفاظ على قيمة المجال العمراني وتدقيق لوظيفته التي يجب أن يؤديها في المدينة ككل.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن تخطيط المدينة الإسلامية تميز بالحرص على حياة الجماعة والجيرة والتقارب الأسري، فالأزقة بعرض سبعة أذرع دليل على مواجهة الأبواب بعضها لبعض وقربها لبعضها البعض مما يحيي حق الجار ويقوي

رابطة التآلف التي قواها الإسلام بأمور الزيارات والدعوات والمحافظة على العلاقات الطيبة فيما بين الجيران، ويوفر هذا النوع من الخطط للأزقة ظلاً وارفاً يعدل عن حر القيط، أما الشوارع المنفرعة فهي للاستخدام الخاص بالأحياء ككل ثم الشارع الأكبر وهو للمجتمع المدني ككل...¹²

ولم تكتفي المدينة الإسلامية بتحديد شبكة الطرقات في الشوارع والأزقة فقط، بل حددت أيضاً الرحاب والميادين التي تشحن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين... حيث كانت تمثل نقطة التقاء مجموعة من الشوارع والأزقة مما ييسر الحركة لاتساع أبعادها بالنسبة للشوارع ويسمح ذلك للباة الجوالين بممارسة نشاطهم بها فضلاً عن احتوائها بعض المرافق العامة.

3-5- فضاء الترفيه:

يحتل هذا المكون العمراني أهمية كبيرة في المدينة الإسلامية، ويعود ذلك إلى ما يوليه الدين الإسلامي لهذا العنصر من أهمية، لما يصفه القرآن الكريم في الكثير من آياته وتصويره الرائع للحدائق المثالية التي تمثل نهاية المطاف للمؤمن، مما شكل مصدر إلهام للمصممين الأوائل وخصوصاً خلال عصور ازدهار المدينة الإسلامية، أضف إلى ذلك تأثر الحضارات القديمة، التي فتح المسلمون مناطقها بطبيعة الدين الإسلامي السمحة، والتي كانت أقاليمها ذات باع كبير في هذا المضمار -بلاد بابل وفارس على سبيل المثال- وكذا خبرة واسعة في تطوير الواحات الخضراء في قلب البيئة الصحراوية كما هو الحال في إقليم شمال إفريقيا وحضارة قبائل البربر، حيث انصهرت بمرور الزمن تلك القيم المعمارية العمرانية للحديقة في ظل قيم الإسلام الحنيف والرؤية الثاقبة للبيئة الطبيعية كمركب للحياة الإنسانية، والملفت للانتباه هنا هو براعة المسلمين في تطويع الصحراء بحكم تواجد معظم مساحة المدينة الإسلامية في بيئة صحراوية وتحويلها إلى واحات خضراء مكنت المسلمين من العيش في شروط صحية ملائمة لردح طويل من الزمن...¹³

3-6- فضاء الإقامة:

للمسكن في الإسلام حرمة وقداصة وخصوصية إذ يمثل الحصن الذي تعيش فيه الأسرة والمحضن الذي يتربى فيه الأبناء... فكان له في الإسلام آداب وشروط جسديتها المدينة الإسلامية في عصورها الذهبية، وأعطت صورتها المعمارية المناسبة. ولقد تأثرت هندسة المنازل عند المسلمين بهندسة المسجد حيث كانت في أغلب الأحيان مفتوحة للداخل حول مجال مكشوف مثل صحن المسجد، تتوزع الغرف حوله ويمثل متنفسا للمستعملين، ويضمن الشمس والهواء كما كان يحوي على الخضرة ويضمن النشاط الاجتماعي والأسري في ظروف تغيب عنها أعين الغرباء، ولا يزال كذلك في الكثير من المدن العربية، ويمثل المسكن بهذه الهندسة مواءمة بين التقاليد والقيم الروحية الإسلامية، وظروف البيئة المناخية.

ويعكس ذلك الترابط الاجتماعي الخاص بالأسرة والحياة الداخلية للفرد، الاهتمام باستغلال المجال الداخلي واستعماله بدقة من قبل السكان وفقا لتوجيهات الدين، حيث تفتح مداخل البيوت على أزقة ضيقة، تuchi في غالب الأحيان بخصوصية المجال وتحوله نحو الداخل بانغلاق الواجهة على الخارج، أضف إلى ذلك الارتفاعات المتوازنة والأسقف المسطحة، التي تجسد علاقة المجاورة التي يوليها التنظيم الإسلامي أهمية كبرى في المجتمع¹⁴.

4- الواقعية في العمارة والعمران العربيين الإسلاميين:

لقد صاغت المدينة العربية الإسلامية ثوبا على مقاس مستعمليها مع تنوع مشاربهم وطبائعهم في مختلف أصقاع ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من ربوع العالم وأنماط معيشة الشعوب منذ تميميتها الحضرية الأولى، حيث استطاعت الصورة العمرانية المعمارية أن تتكامل مع أسلوب الحياة وهوية الإنسان في الزمان والمكان، ولعلنا نورد في هذا السياق قول أحد الباحثين: "... فطبيعة السوق، شكله، انطباعاته، أسلوب الإعلان والتسويق، مستوى الصوت والإجهار عن البضائع، كلها عوامل تربطنا ذهنيا بمؤشرات قومية موقعية أو اجتماعية محددة بحيث تربط لاشعوريا ذلك الحدث أو ذاك الصوت أو تلك الممارسة التسويقية بمنطقة معينة أو سلوكية

اجتماعية تعود إلى مجتمع محدد... ولا يمكن أن نسلخ هذا الواقع عن مشاهد الأطفال بعثهم البريء على قارعات الطرق والحارات أو مشاهد دكان الجيرة ومقهى الحي، كل هذه المفردات وغيرها تضيف إلى العمارة والمجال العمراني عبيرها وشذاها المحلي وبالتالي تعزز واقعيته وانتمائها البيئي...¹⁵.

وعلى هذا يمكننا القول بأن الإنتاج العمراني والمعماري في المدينة العربية الإسلامية ينبع من واقع المجتمع الذي يلبس ثوب ثقافة وليدة حضارة إنسانية عالمية، تبني على أسس راسخة ومبادئ ثابتة، تستوعب مختلف المستجدات والثقافات التي استطاعت أن تستوعبها مع مرور الزمن، في كل أشبار رقعة العالم الإسلامي ومع اختلاف مشارب المسلمين وطبائعهم وممارساتهم.

هذه جملة خصائص تتميز بها العناصر المادية المكونة لجسم المدينة العربية الإسلامية، والتي تعتبر نتاجا لاستراتيجية تخطيطية تهدف للحفاظ على الإنسان بكل أبعاده، وتتنظر له نظرة شاملة في إطار المفهوم الشامل للإسلام كنظام حياة الإنسان ويصون كرامته وفقا لمقاصده وحفاظا على هويته.

5- الوضع الراهن للمدينة العربية الإسلامية:

إذا كانت المدينة العربية العتيقة قد تميزت بطابعها الإنساني المتمثل بتركيب نسيجها العمراني وتعاطفه الوثيق مع حاجات ومتطلبات الإنسان، فضلا عن عمارة أبنيتها التي تعكس وبشكل واضح إنسانية وتنوع المجالات الداخلية والخارجية، والتي توفر الأمان والراحة والخصوصية لساكنتها... فإنها خلال مسيرتها عرفت تحديات كبرى اختلفت حدتها من قطر عربي لآخر، ساهمت إلى حد كبير في تغيير ملامحها ومقوماتها، وجعلت منها كيانات تفتقر إلى الهوية والانتماء الحضاري ويمكن إجمال تطوراتها التي عرفت خلال مسيرتها فيما يلي:

5-1- تطورات ناتجة عن التدخل الأجنبي في العالم العربي الإسلامي:

برزت على إثرها تغيير معالم التراث والفن المعماري والتوزيع السكاني والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي للمدن والعواصم، مما ساعد على إحداث تغييرات رئيسية في

البنى الهيكلية والحدود السياسية، بل وطمس المعالم الحضارية الإسلامية ومن ثم تقلصت مكانة المدن فيها، كما هو الحال في مثال مدينة قسنطينة بالجزائر، ودمشق بسورية...

5-2- تطورات ناتجة عن إدخال التكنولوجيا في الحياة الاقتصادية:

تمخضت عنها مركزية في الوظائف الإدارية، حيث أن كثيرا من المدن سميت مدنا لأهميتها أو دورها الاقتصادي أو لحجمها بل بناء على الوظائف الإدارية التي كانت تقوم بها، وكان لتأثير سياسة الاستقلال في الكثير من المدن العربية دورا هاما في تركيز السلطات السياسية والإدارية في العاصمة، وبعض المدن الأخرى (الحواضر)، مما شجع الهجرة إلى المراكز الحضرية داخليا وخارجيا، سرعت إلى حد كبير نسبة التحضر في غياب قدرات تلك المراكز الحضرية لاستيعابه (القاهرة كمثال)...

5-3- تطورات تكنولوجية انعكست على فيزيائية المدينة (الجانب المعماري العمراني :

إذا كانت التكنولوجيا هي ثمرة بحوث علمية متراكمة قامت بها عقول إنسانية خلاقة عبر القرون والأجيال، ثم انتشرت ودعمت بهدف صنع الأشياء الجديدة وبطريقة أفضل... فهي ثمرة التطور العلمي وازدهاره وبالتالي فهي في خدمة الصالح العام للإنسانية جمعاء. ولقد عرفت التكنولوجيا قديما ثم تطورت عن طريق التجربة والخطأ متناسبة مع بيئات ميلادها، فلم تكن حينذاك إلا عنصرا إيجابيا للإنسان رغم بدائيتها...

إن تطبيق التكنولوجيا يتطلب تحديد الأهداف وصياغتها وربطها بالمتطلبات المتجددة في المجتمع، وتعزيز القدرات التي تساعد على أن تستبدل الطرق التقليدية المختلفة التي تعتمد الطاقة الإنسانية العقلية والمادية، رغم تنوعها واختلافها من بيئة لأخرى... وهناك علاقة وثيقة بين العمارة والتكنولوجيا، فالعمارة هي مرآة حضارة الأمم وانعكاس مدى ما وصلت إليه من تقدم وتكنولوجيا حديثة. وإذ تعتبر هذه الأخيرة في ميدان البناء والتشييد خطوة على الطريق ترتبط بإمكانية إنتاج المباني والمواد

المستخدمة، فهي التقنية التي يتم بها تشكيل الهيكل العام للمبنى باستعمال مواد البناء الحديثة، التي رغم إيجابياتها الفعالة في الميدان يمكن أن تكون سلبية في آثارها، ويمكن ذلك في كيفية تعاملنا معها وإخضاعها ومواءمتها لبيئتنا...¹⁷.

إن نظرة فاحصة لوضعية المدينة العربية الراهنة وما آلت إليه عمارتها المعاصرة تظهر أن تشكيلاتها المعمارية والعمرانية قد أخذت توجهات عديدة منها:

5-3-1- عمارة استخدمت الطرز المعمارية الكلاسيكية الغربية:

حاول البعض من خلالها استخدام بعض الطرز الكلاسيكية (الدوري، الأيوني...) :عناصر المشروع الإنشائية والهيكلية كالأعمدة مع استخدام بعض العقود وإضفاءها على المباني الحديثة، بل استخدام الطرز مجتمعه في مبنى واحد، اعتقادا من هؤلاء أن هذه الطرز تمثل العودة إلى الكلاسيكية والنظام والسيمة...

5-3-2- عمارة غريبة الملامح:

تظهر في نقل وتقليد أساليب الإنشاء والتصميم الأجنبي نتيجة ارتباطه في الأذهان بالتقدم والتطور والمعاصرة، حيث برزت عمارات الزجاج والأبراج ومباني الألومنيوم وغيرها من الحلول التي وجدت في بيئة غير بيئتنا، دون اهتمام من طرف المعنيين من معماريين ومختصين بأن تلك الأساليب تعود لمجتمعات تختلف كلياً عن مجتمعاتنا (التي رغم تنوعها إقليمياً في ممارساتها وتقنيات عمارتها، إلا أنها تتفق في المضمون الحضاري للشكل المعماري والعمراني) ولها فلسفة لا تتماشى مع مبادئنا وأفكارنا، وقد بهرتهم عظمة التكنولوجيا، فاهتموا بالمظهر دون الجوهر فجاءت المباني غريبة عن مجتمعنا لا تقرأ فيها أية روابط تربطها بعمارتنا الأصيلة. الصورتان (1)، (2)

5-3-3- محاولة إضفاء الملمح التراثي على المنتج المعماري:

باستخدام بعض المفردات التراثية التي تزخر بها مكتبة العمارة العربية الإسلامية...دون وعي بخصائص كل عنصر وكيفية توظيفه في التكوين المعماري والعمراني، مما أفضى لمزيج من الأساليب المتنافرة غير المتجانسة فأوجد مسخاً معمارياً على الساحة المعمارية.



صورة (2) القاهرة



صورة (1) أبو ظبي

البحث عن المعاصرة على حساب الهوية المعمارية العمرانية للمدينة
المصدر:

(1): مجلة " البيئة والتنمية ". عدد 16 يناير/فبراير 1999. لبنان. ص 75/74

(2): مجلة " العربي " . عدد 490. سبتمبر 1999. الكويت. ص 111

5-3-4- محاولات للتعبير عن العمارة البيئية:

وتظهر في تبني شعار البيئة الذي بدأ في مرحلة المعاصرة، ورغم إبهار الفكرة إلا أن النتائج المعماري اهتم بالشكل المتمثل في إضفاء المفردات البيئية أو المعالجات المناخية المتمثلة في مجموعة من القباب والقنوات والفتحات الضيقة والمشربيات... التي تختلف مواقعها من مكان لآخر، دون تقدير جاد للتقنية البيئية والاقتصادية والإنسانية التي أوجدت كل عنصر منها، ودون أي دراسة لجوهر الفكر الذي أبدعها ، فلم تستطع أن تفي بالاحتياجات الوظيفية والبيئية للإنسان العربي، فضلا عن أن العمارة العربية الإسلامية الأصيلة بيئية بامتياز.

5-3-5- محاولة إيجاد طابع معماري مميز:

استخدام عدة محاولات للمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة والبحث عن الهوية والطابع المعماري المميز، بإدراج مفردات الموروث المعماري وحلوله نتيجة ارتباط الأصالة بالعمارة التراثية، وقد نجحت بعض تلك المحاولات وفشلت بعضها ولكن غالبا ما كانت تلك المحاولات التي تدعى الأصالة تتجاوب مع محاولات أخرى متأثرة بالتبعية الفكرية للغير، مما أدى إلى ظهور أشكال غريبة على الساحة المعمارية

العربية بتنوع محلياتها، وهنا نستعيد رأي المعماري حسن فتحي "علينا أن نطبق العلوم الحديثة عند إعادة تقييم فن العمارة الخاص بنا، وأن نزيل خلال ذلك كل دخیل طراً عليها، مع إزاحة كل التأثيرات الزمنية التي ليس بها ارتباط بثقافتنا"¹⁸.

6- التطورات والآثار المتجددة المترتبة على ظاهرة العولمة في المدينة العربية الإسلامية:

إن ما يجري في الآونة الأخيرة يظهر أثره بقوة على المدينة العربية الإسلامية ومجتمعها، وإذا كان العمران هو نتاج الثقافة والمرآة العاكسة لثقافة المجتمع بكل ما لها وما عليها، ويعبر عن هويته والتي يمكن من خلالها التمييز بين المجتمعات، فإن التشكيل العمراني والمعماري قد يكون سببا في تغير الملامح الثقافية للمجتمعات.

وإذا كانت هوية المدينة العربية قد تشكلت عبر تاريخ تطورها، وبرزت خصوصيتها الحضارية والإنسانية متخذة في ذلك أشكالا متعددة عمرانيا وبيئيا واجتماعيا وثقافيا، الأمر الذي أعطاها صفة التناغم والانسجام، فإنها اليوم قد دب في أحشائها العديد من الأمراض وتمزق جسمها بفعل تصرفات سلبية أفقدتها هويتها العمرانية، وامتد ذلك لإرباك الحياة الإنسانية داخل مجتمعاتها، وزاد من التوتر والعلل النفسية، باعتبار العمران والإنسان وحدة عضوية¹⁹، ومن تلك الآثار:

على المستوى الاجتماعي الثقافي:

6-1- العزلة الاجتماعية وتفكك الروابط:

يشير الباحثون إلى أن التقدم السريع للمعلوماتية والثورة التكنولوجية التي تعد من أبرز مظاهر العولمة يمكنها أن تتسبب في العزلة الاجتماعية وتفكك روابط مجتمع المدينة، حيث تصبح الروابط والعلاقات الاجتماعية نوعا من التراث، مفككة حتى بين أفراد العائلة الواحدة...وعندما يشعر الفرد بأنه قادر على تحقيق متطلباته بعيدا عن المجتمع نتيجة للتطور التكنولوجي الذي يلبي له ذلك، فإنه يبدأ بالانعزال عن مجتمعه تدريجيا، مما يولد لدى الفرد اغترابا عن الواقع ومن ثم تهربه من المسؤوليات الحقيقية نحو نفسه ومجتمعه وذلك كفيل بتفتيت مجتمع المدينة وجعله مجرد جزر يحويها مكان جغرافي أصم...²⁰

ولعل ما توصل إليه منظرو علم الاجتماع الحضري المعاصرين يؤكد أن الثورة الرقمية (المعلوماتية) التي حدثت مع نهاية القرن الفارط أدت إلى تغيرات في الحياة الاجتماعية، تمخض عنها تعميقا لأنماط التباين والانقسام الاجتماعي والفراغي بين قطبين يتمثلان في الأغنياء والفقراء، وأن ذلك سينعكس على تقسيم الفضاء الحضري في المدينة حيث يتميز كل بخصائصه مما يؤثر على وحدة المدينة ليس فقط من ناحية الشكل بل تمزيق الشبكة الاجتماعية التي تنشطها²¹.

6-2- خلخلة المنظومة القيمية للمجتمعات العربية الإسلامية:

تراجع العديد من القيم التي تعتبر العقيدة الإسلامية محركها رغم الاختلاف الملحوظ في عادات وتقاليد الشعوب العربية الإسلامية، بفعل الانتشار المذهل للمعلومة بغثها وسمينها، وغياب البديل الذي يمكن الإنسان في البلاد العربية من إشباع حاجاته العلمية والثقافية المتنوعة (المجتمع المعلوماتي ونصيب لغة القرآن فيه قياسا باللغات الأخرى)²²، هذا فضلا عن الفضاءات المستجدة في المدينة وصورها المعمارية المتضاربة في الأشكال وحتى الوظائف.

6-3- طمس الهوية:

إن ارتباط الفرد بخصوصيات وعلاقات سلوكية مع مجموعات من البشر ذابت بينهم الحاجز الفكرية من خلال شبكة المعلومات وتحطم الحاجز اللغوي وتنمط السلوك بينهم وتراجع وازع الانتماء للوطن والعقيدة يؤدي إلى تحول الفرد لإنسان من دون هوية ويرى حينذاك الحياة بنظرة روبوتية لا معنى للقيم ولا الانتماء الحضاري فيها. ولعل ما أغفله المقلدون للفكر الغربي في هذا المجال هو أن ما ينقل من أفكار في العمران هو نتاج لحوار اجتماعي ثقافي وتقاليد لمجتمعات تختلف احتياجاتها وإمكانياتها وبيئاتها المادية والإنسانية عن مجتمعاتنا.

على المستوى العمراني المعماري:

6-4- اغتراب العقل المعماري العربي عن حضارته:

يعتبر العقل المعماري والتخطيطي لكل مجتمع من أهم الموارد البشرية التي تحافظ على مكنوناتها الحضارية وخصوصا في المدينة التي نعتبرها الوعاء الحاوي

لحركية المجتمع وحضارته وبناء على ذلك فإن المجتمعات التي تولي أهمية للتكوين من خلال نفخ روح حضارتها وقيمها ومركبات هويتها في المادة التكوينية لا تجد صعوبة في تشكيل عناصر المدينة التي تنشط ذاكرة تلك المجتمعات وتحافظ على وريدها الذي تتغذى منه عبر مراحل نموها.

في مجتمعاتنا لعبت البعثات التعليمية دورا هاما في إعطاء الصورة العمرانية والمعمارية للمدينة كما هي عليه في وضعها الراهن تحت طائلة نقل الفكر العمراني والمعماري الحديث مما أصبغ عليها صورة لا علاقة لها البتة بالجسم العتيق الأصيل الذي صبت فيه خصائص حضارتنا الإسلامية العالمية التوجه، وتجدر الإشارة هنا إلى ظهور العديد من المفاهيم في أوساط المثقفين والمتخصصين في مجالات العلوم الإنسانية بشكل اعم وفي مجال العمران بشكل خاص، ومن أكثر المفاهيم شيوعا وتداولاً: الحداثة والعولمة، والتقليدية والمحلية، وكلها إيديولوجيات ثقافية واجتماعية أفرزت مكونات وتشكيلات مادية على مستوى المدينة في البلاد العربية²³، ولا زالت برامج التكوين في مدارسنا المعمارية تقتات من فتات المدارس الأجنبية، رغم الفشل الذريع في تعبئة هذه الأخيرة للإنسان الأجنبي حول ثقافة عمرانية معمارية مترنة.

6-5- على المستوى التنظيمي:

شهدت البيئة العمرانية في البلاد العربية العديد من القوانين التشريعية المتعارضة مع الظروف المحلية للمجتمعات العربية منذ القرن السابع عشر ثم خلال فترة الاحتلال صياغة معظم القوانين التي تنظمها وفقا لمنظور يختلف تماما عما في حضارتنا، وجاءت معظمها معتمدة على المنظور المادي المفرغ من محتواه الإنساني الذي يعتبر الحاكم الأساسي في تشكيل البيئة العمرانية ومفرداتها...²⁴ ولم يلعب العقل التخطيطي العربي هنا أي دور يذكر لاستدراك ما تزخر به المدينة العربية الإسلامية من أسس تنظيمية وتراث، ونشير بالدرجة الأولى في هذا المقام إلى الدراسات الضحلة في هذا الميدان، ناهيك عن تكوين العقل المعماري العربي المفرغ في جل البلدان العربية من القيم الحضارية الأصيلة في ميدان العمارة والتعمير.

6-6- على المستوى الفيزيائي (المادي):

تظهر المدينة في العالم العربي الإسلامي تطبعها فسيفسائية لا هوية لها، حيث بنيت المدن على شكل وحدات سكنية لا تربطها ملامح عمرانية بغيرها، فملاح حي من الأحياء السكنية في مدينة واحدة هجين من نماذج غريبة... لا تراعي الخصوصية المحلية ولا الإقليمية، لا في إطارها الكلي أو الفرعي²⁵، فضلا عن المؤسسات العامة بمختلف وظائفها التي لا يطبعها أي طراز يمكن قراءته محليا ولا حضاريا. وبذلك يمكن القول بأن المدينة العربية -الجزائرية مثال على ذلك- تفتقد للمسحة الحضارية الجمالية التي جعلت منها مجرد مدينة تقتصر على تحقيق وظيفة الإيواء المضطرب بعيدا عن الدور الحضاري المنوط بها. الصورتان (3)، (4)

وهناك الكثير من الدلالات على فقدان الهوية في عمران المدينة العربية ومن أهمها انتشار أنماط عمرانية ومعمارية لا تنتمي إلى الأبعاد الإنسانية والبيئية لهذه المجتمعات وسيطرة المنطق المادي على هذه الأنماط وحدوث التصادم والصراع بين الأنماط التراثية والأنماط المستغربة²⁶



صورة (4) الرياض



صورة (3) دمشق

البحث عن هوية المدينة بين القديم والحديث
لمصدر:

(3): د أحمد الغفري. حماية البيئة في المدن -دمشق 1998. ص 93

(4): مجلة " جامعة الملك سعود ". مجلد 11. الرياض 1999. ص 94

أمام هذه المعطيات يمكننا التساؤل عن مستقبل المدينة في العالم العربي الإسلامي؟

7- مستقبل المدينة العربية:

نتصور في هذا الشأن أنه يمكن لهذه الآثار أن تتطور إن لم ندرأ الخلل في الوقت المناسب، وسيصبح الفضاء المدني في مدينتنا حسب ما يراه بعض الباحثين من دون جدوى إذا لم توفر الآليات القادرة على امتصاص إيجابيات العولمة المتمثلة في الجانب التكنولوجي خاصة، وتجنب سلبياتها التي تتعلق بالجانب الاجتماعي الثقافي... فضلا عن التحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كالبطالة في التراث والتحول لمجتمعات استهلاكية...وما إلى ذلك من أمراض اجتماعية ثقافية بدأت تتخر في جسم مجتمعاتنا واجهتها مدينتنا.

إن هذه التحديات تدفعنا للتساؤل عما يمكن عمله؟ وهل نقبل بالأمر الواقع أم نجابهه؟ وكيف يتأتى لنا ذلك؟ وللإجابة عن ذلك تبدو لنا أفكارا عديدة نراها كما يلي:

7-1- فكرة الانعزال:

التمثلة في الانطواء والتقوقع من منطلق أن العولمة أو كل ما يفد من خارج مجتمعاتنا سلبي خوفا من الانزلاق مع التيار وبالتالي الانسلاخ من مقومات حضارتنا، ونعتقد أن ذلك لا يخدم المفاهيم الأصيلة التي قامت عليها المدينة العربية الإسلامية كمناج لحضارة عالمية البعد.

7-2- فكرة الاندماج:

ويرى أصحابها أن المتخلف عن ركب التكنولوجيا يدخل في إطار التخلف باعتبار الإنجازات التكنولوجية تعبر عن قمة الحضارة، ومن ثم فإن إيجابياتها وسلبياتها تؤخذ على حد سواء بشكل مطلق دون مراعاة الجوانب الاجتماعية والعقائدية والثقافية للمجتمع، ونعتقد أن ذلك ذوبان في بوتقة عالم غير عالمنا.

7-3- فكرة الاستيعاب:

الذي نعتقد أنه سبيلا مقبولا يمكننا من خلاله تجنب سلبيات هذه الظاهرة والاستفادة من إيجابياتها وقوام ذلك المعرفة، ولعل ما يؤكد العديد من المفكرين هو أن معيار القوة في الألفية الثالثة هذه لن تعود القوة الاقتصادية أو العسكرية ولكنها تكمن في عنصر المعرفة جوهر كل القوى²⁷، وإذا كانت النظرة التخطيطية للمدينة في عالمنا العربي الإسلامي قد قامت على ثوابت لا يمكن الاستغناء عنها (لأنها تتدرج

ضمن مقاصد شريعة الإسلام) حفاظا على مضامينها الإنسانية والبيئية والاجتماعية... وديمومتها للأجيال القادمة، فإن المتغيرات المستجدة من حين لآخر في العالم المعاصر تلزمنا بالتعامل معها وفقا لثوابتنا، واستيعاب حضارة وتجارب غيرنا للتمكن من توظيفها، فكيف يمكننا ذلك؟

8- كيفية الاستفادة من الموروث المعماري العمراني:

لا شك أن عمارة ماضيينا عمارة مجتمعية الملمح، تضع الإنسان في موقعه السليم في إطار المجتمع ومعطياته، عمارة إنسانية تتبع من الاحتياجات الإنسانية التي تحددتها مجموعة عوامل: كالخصوصية والوظيفية والتكافل الاجتماعي وعلاقات الجوار... وإنسانية العمل المعماري، حيث انعكس ذلك على مكونات الموروث المعماري بشكل واضح وعلى تشكيلاته المعمارية والعمرانية²⁸.

وعليه، فنحن في مرحلتنا المعاصرة لا يمكننا طي صفحة هذا الماضي الذي استطاع أن يعبر بتلقائية عن الاحتياجات الفعلية للمجتمع، ومن الضروري أن نحاول الاستفادة من دروس هذا الماضي واستيعابها، بقراءة الموروث المعماري العمراني قراءة متأنية، والتعرف على أسسه وقيمه، معترفين بأصالته وبأنه مصدرا أو سندا للحاضر، ومحاولة تخليصه من الشوائب والسطحية التي علقته به من اتصال الحضارات وتفاعلاتها سيما في المرحلة الأخيرة من عمره...

والمدخل إلى ذلك يمكن تحقيقه من خلال دراسة هذا الموروث بكل أبعاده وتحديد الركائز التي ارتكز عليها ثم استخدام هذه الركائز كمدخلات حتى وأن كانت جزئية في تحديد المشكلة المعاصرة، ومحاولة الوصول إلى تكوين طابع مميز وتراث جديد من هذا الموروث يتفاعل مع احتياجات المجتمع في مرحلته المعاصرة المعاصر، لضمان الاستمرارية الحضارية له.

خلاصة

مما سبق عرضه يتضح أن هناك اتجاهات للعمارة العربية المعاصرة، أقرزتها مؤثرات مختلفة، أثرت بشكل مباشر على التكوينات المعمارية والعمرانية، أوجدت مزيجا من المباني المتنافرة الغربية، كما أن الموروث المعماري لحضارتنا يحتوي على

العديد من الركائز التي ساعدت على تحقيق الاحتياجات الفعلية للمجتمع الذي عاصره، لذا كان لزاما علينا محاولة إعادة قراءة هذا الموروث والاستفادة منه بفقّه خصائصه، وتوظيفها للوصول لطرّاز أو طرز معمارية معاصرة تتسق في تكاملها مع أصالة المجتمع في كلياته، وتتنوع في محلياته وإقليميته (الأبعاد الثقافية، الطبيعية، الاجتماعية، الاقتصادية...) بتنوع ثقافات وخصائص مجتمعات العالم العربي الإسلامي، مستوعبة في ذلك متطلبات المجتمع المتجددة وتكنولوجيا عصره²⁹.

كما يمكن التأكيد أنه هناك عدة عوامل وجهت العمارة والعمران الترابيين: الوظيفة والمجتمعية والإنسانية، فضلا عن الخصوصية والقيم الجمالية التي أخذت في الاعتبار خصائص المكان كالطبوغرافيا والمناخ والمواد المحلية وطرق الإنشاء والبيئة المحيطة... وبتحقيقها ضمن الوصول إلى بيئة معمارية تجاوزت مع النواحي الثقافية والاجتماعية والإنسانية للمجتمع.

فلا بد لنا إذن من وقفة علمية متأنية نقدية، لإثراء الحوار بين الأصالة والمعاصرة، والتوجه نحو الأسس التي يجب أن تقوم عليها العمارة المعاصرة بنظرة شاملة، والبدء بإعادة تقييم المفاهيم والنقّرس في منابع الفكر المعماري العمراني الأصيلة والركائز التي قامت عليها حضارتنا، لنعيد لعمارتنا ومدينتنا وجههما المشرق.

إن المدينة العربية الإسلامية إذ تتوفر على معين تخطيطي قابل للتطبيق في كل زمان ومكان، وإن كانت قد نالت حظا وافرا من المتغيرات العالمية التي استطاعت أن تؤثر فيها بتشكّل أو بآخر، غير أن ذلك لا يفتح لنا مجالا للاستسلام لهذا الواقع الذي يمكن اعتباره مغلّلا لمنظوماتنا الاجتماعية والثقافية على الخصوص، ومن ثم بات لزاما علينا أن نتصدى لها بطرق معرفية قائمة على استيعاب حضارة الآخر، وطرح المفهوم الإنساني للمدينة من منظور ما تتوفر عليه نظرتنا التخطيطية الاستراتيجية الشاملة.

ولعل ظاهرة العولمة من العوامل الأساسية التي يمكن التكلم عنها كنتاج للثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي تسابق الزمن وتلقي بظلالها على مجتمع المدينة في

عالمنا العربي فأوجدت نوعاً من القلق على الثقافة المحلية وذوبانها في بوتقة الثقافة العالمية، وتراجع القيم الحضارية الأصيلة التي نشأت عليها هذه المدينة عبر تاريخها المزدهر قبل وطأ المستعمر بلاد المسلمين.

إن ما تتوفر عليه الرؤية التخطيطية للمدينة الإسلامية من قوة في هذا المضمار كفيل بتحريك العقل التخطيطي في المجتمع العربي الإسلامي للإبداع والعطاء فهي:

* تتوفر على رصيد فكري تخطيطي زمكاني:

يجدر بنا توظيفه لاحتماله البعد الزمكاني ويمكن العودة في هذا السياق إلى رؤى المنظرين المسلمين: الماوردي وابن أبي الربيع وغيرهم، في إشاراتهم الواضحة للبعد المستقبلي وتقدير الحاجة بدقة وفقاً لما تتطلبه حاجات المجتمع في تخطيط عناصر المدينة وتسييرها وهو عين التوازن والاستدامة.

* تتوفر على مرجعية عالمية المضمون، متنوعة الصورة:

لارتباطها بالمفهوم الرسالي للإسلام، فهي مطالبة بالتوافق مع مستجدات ما ينتجه الفكر الإنساني، دون خلخلة العلاقة الأزلية المتعلقة بالأبعاد العقائدية والاجتماعية وما ينبني على ذلك من ممارسات محلية كنتاج للبيئة.

- مدينة مستدامة:

لأنها تولي أهمية كبرى للإنسان بكل أبعاده والبيئة بكل جوانبها، فهي إنسانية وبيئية عمراناً وعمارة.

ويبقى علينا أن نتساءل كمخططين وأكاديميين عن مدى استيعابنا للمخزون الفكري الذي تمتلكه الحضارة التي ننتمي إليها في هذا الميدان، ومدى استيعابنا للفكر العالمي الحديث في وقتنا الراهن، لنتمكن من الصمود حيال الأخطار الممكنة، لأن العولمة ليست مجرد مال وصناعات متقدمة وعلوم، إنما هي صراعات فكرية وعقائدية وثقافية، بل هوية يراد بها المسخ والاضمحلال...³⁰.

- 1- أ.د.محمود حسن نوفل. إشكالية التخطيط بمدينة المستقبل العربية بين الثابت والمتغيرات. مجلة المدبنة العربية العدد 109. الكويت 2002. ص 30.
- 2- د. محمد اسماعيل عبد اللطيف وآخرون. التشكيل العمراني للمدينة العربية بين الهوية المحلية والمؤثرات العالمية. مجلة المدينة العربية. العدد 121. الكويت 2004. ص 76.
- 3- د. سالم البيض. ثقافة المؤسسة واثر العولمة في المغرب العربي: تونس. مجلة الباحث الاجتماعي العدد 04 قسنطينة 2003. ص 129.
- 4- د. محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية. سلسلة عالم المعرفة، العدد 152. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. العدد 128. الكويت 1988. ص 8.
- 5- د. السيد الحسيني. المدينة-دراسة في علم الاجتماع الحضري. دار المعارف. القاهرة 1981. ص 14.
- 6- د. عبد الباقي إبراهيم. المنظور الإسلامي للتنمية العمرانية. مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية. مصر 1993. ص 55.
- 7- ابن أبي الربيع أحمد بن محمد. سلوك المالك في تدبير الممالك. تحقيق ناجي التكريتي مطبعة الهدف. بيروت 1978. ص 192.
- 8- خالد محمد مصطفى عزب. تخطيط وعمارة المدن الإسلامية. سلسلة كتاب الأمة. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الدوحة 1997. ص 49.
- 9- مدثر عبد الرحيم. الطابع الاجتماعي والقانوني للمدن الإسلامية. في المدينة الإسلامية. ندوة مركز الشرق الأوسط. جامعة كمبودج. بريطانيا 1983. ص 41-42.
- 10- د. خالد محمد مصطفى عزب. مرجع سابق. ص 47-51.
- 11- نفس المرجع. ص 55.
- 12- د. عبد الله المنيسي. مرجع سابق. ص 34-35.
- 13- صفى الدين حامد. الحديقة الإسلامية ودور مصمم الموقع في تطوير المدينة العربية. في ندوة المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي. منظمة المدن العربية. الرياض 1981. ص 84.
- 14- طالب حميد الطالب. الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة. مجلة المدينة العربية العدد 43 الكويت 1990. ص 42.
- 15- نفس المرجع. ص 44.

- 16-Claude Chaline. Les Villes du Monde Arabe. Ed Masson. Paris 1990. P37.
- 17-أ.د. أحمد الغفري. دور التخطيط العمراني في حماية البيئة في المدن. م. اليازجي دمشق 1998. ص 99.
- 18- أ.د. محي الدين خطيب سلقيني. آفاق العمارة الإسلامية المعاصرة- تجربة جوائز الأغاخان- نقابة المهندسين السوريين. حلب 1995. ص 236.
- 19- محمد اسماعيل عبد اللطيف وآخرون. مرجع سابق. ص 77.
- 20- أ.د. محمود حسن نوفل. مرجع سابق. ص 35.
- 21- د. محمد عبد المجيد ضيف. الثورة الرقمية وتغير المبادئ الأساسية للتخطيط العمراني. مجلة المدينة العربية. العدد 110. الكويت 2002. ص 11.
- 22- أ.د. محمود حسن نوفل. مرجع سابق. ص 38.
- 23-24- نفس المرجع. ص 77، 81.
- 25- د. علي بوعناقة. المدينة العربية والألفية الثالثة. مستوى النمو والاتجاهات. مجلة المدينة العربية. العدد 107. الكويت 2002. ص 88.
- 26- د. محمد اسماعيل عبد اللطيف وآخرون. ص 85.
- 27- 29 في المحاضرة
- 28- د. محمد عبد الستار عثمان. المدينة الإسلامية. مجلة العلوم الاجتماعية. العدد 01 الكويت 1989. ص 295-297.
- 29-Rappoport. A Pour une Anthropologie de la maison. Dunod. Paris. 1972. p16
- 30- أ.د. محمود حسن نوفل. مرجع سابق. ص 44.